

* ثالثاً — دور العقل في تمحيص الأفكار والموروثات *

— عندما يتشبع المسلم بالعقيدة الصحيحة الصافية فإنه يستطيع أن يمحّص الأفكار التي يعرضها غير المسلمين أو من تأثروا بهم وفي موروثات الآباء والأجداد فيعرف ما يتوافق مع دينه فيقبله، وما يتصادم معه فيرفضه ويتجنبه.

— تصدّى القرآن الكريم للأفكار المخالفة للعقل بالحقائق العلمية.
— العقل يحذّر صاحبه المتشبع بالعقيدة الصحيحة من الجمود والتقليد الأعمى والخرافة والجهل.

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ مِنْ رَبِّكَ فَهُمْ أَعْلَمُ مَنْ أَفْقَرُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: 15]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْعَانَا عَلَيْهِ آباءُنَا أَوَّلُوا كَاتِبًا ﴾ [البقرة: 170]

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّذِينَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْمَعُ مِنَ الْوَيْلِ ﴾ [البقرة: 170]

﴿ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْعَوْنَ إِلَّا الْاِظْنَ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [يونس: 66]

— ناقش القرآن الكريم المنحرفين القائلين بوجود الكون صدفة بدون خالق، وأطلق على هؤلاء المنكرين لوجود الله -تعالى- اسم: (الدهرية).

وفيه قال الله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِي لَنَا إِلَّا الظُّلُمَاتِ وَمَا هُمْ إِلَّا نَارٌ مِمَّنْ يَنْدَلِكُ مِنْ عَمِلَانِ هُمْ لَا يَنْظُرُونَ ﴾ [الجاثية: 24].

— هؤلاء الدهرية المنكرون للآلوهية هم أقرب الكافرين من الملاحدة المعاصرين.

— الحقائق العلمية الموجودة في هذا الكون تردّ على الذين ينكرون وجود الله -تعالى-.

من أمثلة هذه الحقائق:

— ينزل المطر من السماء على الأرض، فيخرج منها أقوات وثمرات، مختلفة الألوان والطعوم والروائح، يعيش الإنسان عليها، وتخرج من الأرض أيضاً أعشابٌ وحشائش متنوعة تعيش عليها سائر الحيوانات.

هل الطبيعة هي التي جعلت الماء واحداً والأرض واحدة والنباتات مختلفة الألوان والطعوم والروائح، أم أنّ هذه الأشياء أوجدت نفسها بنفسها؟!

* أولاً — أهمية العقل في القرآن الكريم *

— لقد أولى القرآن الكريم العقل أهمية كبيرة، وأعطاه منزلة عالية، وكرّم الإنسان به.

فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنْ أَطْلَافِنَا فَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]

وترجع أهمية العقل في القرآن إلى:

أ. أنّ العقل منشأ الفكر، وأداة الإدراك والفهم، وبه تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات.

ب. قدرة العقل على إدراك الأحكام، والاجتهاد والتجديد، ووصل الدين بالواقع، وضمان مبدأ الاستمرارية في الإسلام.

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 269]

ج. العقل مناط التكليف، فالتكليف خطاب الله، ولا يتلقّى ذلك الخطاب إلا من يعقل. بخلاف نحو: (المجنون والصبي).

— أمر القرآن بالتدبّر للوصول إلى المعرفة الصحيحة والإيمان المبني على العلم.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمْ ﴾ [محمد: 24]

* ثانياً — حث القرآن الكريم على استعمال العقل *

— الدّعوة إلى التدبّر والتفكّر والنظر في كلّ ما يحيط بالإنسان، لإثبات الحق وإبطال الباطل.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَخِلْقِ الْبَلَدِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ جَمْرًا ﴾ [البقرة: 164]

﴿ فِي الْبَحْرِ يَمَسُجُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْضَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَكْتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ وَنَصْرَفَ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْحَرِينَ ﴾ [البقرة: 164]

﴿ وَاللَّهُ أَلَمْ يَنْزِلْ نَصْرَهُمَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 164]

[العنكبوت: 43]

— الحثّ على الاجتهاد والاستنباط.

— تطهير الإنسان من برائن الجاهلية.

— مجيء الأحكام معلّلة ليقوم العقل بالقياس عليها.

* رابعاً - حدود استعمال العقل *

- إعماله في حدود ما خُلق له (التدبر، البحث العلمي).
- استعماله في الكشف عن أسرار الخلق وآيات الكون.
- التوقف عن التفكير في الكيفيات فيما يخص قضايا العقيدة.
- عدم البحث عن الحكمة من بعض الأوامر التعبدية إلا ما كشفه الله لنا.
- توقف حركة العقل في الغيبيات التي لا تدرك إلا بالوحي.
- لا اجتهاد مع النص الشرعي الصحيح الصريح.

* الأحكام والفوائد *

نص مختار كتطبيق لاستنباط الأحكام والفوائد:



- 1 — تحريم التقليد الأعمى. (حكم)
- 2 — وجوب اتباع ما أنزل الله (حكم)
- 3 — المشركون يتبعون تقاليد آبائهم المخالفة لما أنزل الله. (فائدة)
- 4 — القرآن يحدث على إعمال العقل لتحصيل الأفكار والموروثات. (فائدة).

إن اختلاف النباتات في اللون والطعم والرائحة دليل واضح على وجود إله عظيم، خالق لهذا الكون، مستحق للعبادة وحده.

وصدق الخالق العظيم حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿مَوَالِيحُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْدِئُ لَكُمْ مِنَ النَّارِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ النحل: 10، 11.

وقال سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُتَمَجُّدَاتٌ رَجَعَتْ مِنَ الْأَعْنَابِ وَزَيْتٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ تُعْطَى بِمَلَكٍ رَجِدٍ وَتُغْضَلُ بِعَصَا عَنْ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الرعد: 4.

— هذا المنهج القرآني في تحصيل الأفكار المنحرفة اتبعه علماء الإسلام في تحصيل الأفكار والموروثات.

— مثال ذلك رد علماء الإسلام على المستشرقين، وهم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية.

— من اتحرافات المستشرقين:

الشبهة 1:

إنكار السنة المسندة، بدعوى أن تدوينها بدأ في منتصف القرن الثاني الهجري، وأن الفترة السابقة على هذه لم تشهد أي تدوين حقيقي لها، والفصل بقرن عن عصر النبي ﷺ كفيلاً بوضع علامة استفهام كبيرة على الأحاديث الموجودة اليوم في أيدي المسلمين.

الرد على الشبهة:

— نفرض أننا لم نعثر على كتب ترجع إلى تلك الفترة، لكن هذا لا يعني عدم وجودها.

— لم يمنع تدوين الحديث في عهد النبوة مطلقاً، ولا بعده.

والعجيب في هؤلاء المستشرقين أنهم ينكرون السنة المسندة، ويمجدون أقوال فلاسفة الإغريق واليونان غير المسندة.

الشبهة 2:

وضع جميع كتب الحديث والسيرة وجميع ما فيها من الأحاديث النبوية تحت شبهة الكذب.

الرد على الشبهة:

أن علماء الحديث قد وضعوا شروطاً مشددة لغربلة الأحاديث، ومن الكتب ما كان همها الجمع فقط، ومثلها كتب السيرة، فلم يتسدد فيها.